صورة هزلية

من أخلاق الناس (١)

.....

ان الرجل الطيب في نظرنا هو من كان طيباً لنا ، والرجل السيء هو الذي لا ينزل على ما نريده منه ، والحق الذى يقال ان كل انسان منا يحمل فى قلبه عقيدة ثابتة راسخة ، هى ان هذه الدنيا العريضة كلها بناسها وجماداتها ما خلقت الا له وحده ، فرجال الارض ونساؤها لم يخلقوا الا ليعجبوا بناوليشبعوا شهواتنا وليسدوا مطالبتاء وانا وانت أيها القارىء العزيز كل منا يعتقد انه مركز الكون كله وقطب رحاه ، فانت — كما افهم — جئت الى هذا الوجود لكى تقرأنى وتدفع ثمن ما قرأت وانا — في نظرك — لست الا شيئاً ارسل الى هذا العالم لكى يكتب لك شيئاً تقرأ ، والنجوم لم تنثر في صفحة السموات الا لتجعل منظار السماء في الليل مبهجاً لنا جميلا ، وهذا القمر البازغ الحلو لم يطلع الا لاسعادنا ... واني لاخشى ان تكون مثل ديك جارتنا اذ ظن ان الشمس تطلع كل صبح لكى تسمع لصيحاته ، بل ان الغرور هو الذى يحرك هذا العالم ويسيره ، وما أظن انه عاش على هذه الارض انسان واحد لم يكن مغرورا ، ولو وجد اذن لكان يكون رجلا لا قبل لنا به ولا طاقة لاحد منا على احتماله ، ولقد كان يكون ولاشك رجلا طيباً جداً ،

(١) مجلة النفائس (منقولة بتصرف)

وكنا خلقاء بان نحترمه ونجله ، واذن لقد يكون رجلا يستحق الاعجاب رجلا يوضع في زجاجة ويطاف به على الناس للفرجة والمشاهدة ، رجلا يوضع فوق قاعدة تمثال ونلتف به نرسمه كما يفعل التلاميذ في كراسات الرسم .

اننا نتباين كثيرا في سجايانا ومحاسننا ، ولكننا مجتمعون مشتركون في مساوينا . فنا البررة الاتقياء ، ومنا الاكرمون الاجواد ، وقليلون فينا الامناء ، والافلون بيننا الصادقون ، ولكننا جميعا والحمد لله مغرورون ، والغرور هو ولا ريب من مراحم الطبيعة التي تؤلف ما بيننا وتقرب مسافة الفروق ، فنحن يجمعنا من الهندي الفارس الزاهي بحزامه ومنطقته الى الجنرال الاوربي المنتفخ تحت تجومه وأوسمته ، ومن الصيني الفرح بضفائره الصفراء ، الى الحسناء المتكلفة تتحمل العذاب والآلام لكي تجعل حصرها أشبه بحلقة الكمكة ، ومن المرأة الفقيرة تخطر في الشارع تحت مظلتها المتخرقة البالية ، الى الاميرة وهي تتثنى في حجرة الاستقبال تجر وراءها ذيلا يربو في طوله على اربعة امتار ، كلنا نعيش ونجرح وندمي ونموت تحت علم الغرور المرفرف الخفاق

نعم — ان الغرور هو ولا شك القوة الدافعة التي تحرك الانسانية وتجرها ، والملق هو الشحم الذي تدهن به عجلاتها ؛ فاذا كنت تريد ان تغنم الحب والاحترام في هذا العالم فانت خليق ان تملق الناس وتمدحهم ، اذن فاملق الرفيع والوضيع والغني والفقير ، والمغفل والعاقل ، والاحمق والرزين ، فانت ولا ريب ظافر بحياة بين الناس حلوة رغدة ، أمدح فضائل هذا ونقائص ذاك ، وحيي كل انسان وأمدحه على كل شيء ،

ولا سيما على ما يؤنه وما ليس فيه ، أمدح المشوهى الخلقة القباح الوجوه الملعوق الشبه بالجمال والرشاقة والحسن واستحسن من الحمقى ذكاءهم ، وأبد اعجابك من الوقحاء الاراذل لتربيتهم وكرم أدبهم . واذ ذاك يرفعون دقة بصرك وذكاءك ولطافة ذوقك الى السموات

ثم ان للملق طرقاً مختلفة وأساليب عدة ، وانت ولاريب حرى بان تتخذ لكل موضوع الاسلوب الذى يلبسه . فكثيرون يحبون ان يقدم الملق اليهم بالملاعق وهذا النوع لايطلب شيئاً من البراعة والتفنن وهناك جماعة من العقلاء يحبون ان يكون التملق لهم بالاشارة لا بالكناية والعبارات ، وآخرون يحبون ان يكون ملفوفاً فى غطاء من الشتيمة كأن تقول لأحدهم : — يا لك من أحمق مغفل ، انك ترمي بآخر قرش معك لاول سائل يلقاك ! — ثم ان هناك جمعاً غير هؤلاء لايتذوقون الملق الا اذا قدم لهم عن يد رجل ثالث ، فاذا أراد (سليم) ان يستأثر لب (حبيب) — على شريطة ان يكون حبيب هذا من هذه « الماركة » نفسها — فعلى سليم ان يسر الى احد اصدقاء حبيب انه يرى فى حبيب هذا رجلا بديع الخلق كريما طيب القلب ويأخذ عليه الا ما كتم هذا عن الناس ولا سيما عن صديقه حبيب ، ولكن على المتملق ان يحذر ان يكون هذا الوسيط الذى ألقى اليه الملق رجلا موثوقاً به كتوما والا خابت الحيلة . واما هؤلاء الاكياس الصلاب العود الذين يقولون لك ابداً « اننا نكره الملق والمديح يا سيدى » واننا « لا نسمح لمخلوق ان يتغلب علينا بالملق » الخ . الخ . فلا تخيفك منهم هذه الطنطنة الطلوة ... أمدحهم وأملقهم فقط على فقدانهم حب الملق والمديح ثم أفعل بهم بعد ذلك ما شئت

وأخيرا ان الغرور فضيلة ... ولكنك تستطيع بكل سهولة ان تجيء بكراسة طويلة فى ما قيل ضدها من الامثال السائرة . ولكنها بعد عاطفة وثابة تدفعنا الى المحامد كما تدفعنا الى المذام ، ثم أليست الآمال الكبيرة الا ضرباً مهذباً من الغرور ، ونحن نريد ان نظفر من الناس بالاعجاب والاستحسان او « بالشهرة » . كما تحبون انتم ان تسموها ، ومن ثم نكتب كتباً ممتعة طيبة ونرسم صورا فخمة جميلة ونغنى أغنيات لذة مطربة ، ونكد ونتعب ونعمل بايدينا واجسامنا في المكتب والمعمل والمصنع

نحن نود ان نكون اغنياء ، لا لكى ننعم بالراحة ورغد العيش ونعومة الحياة فهذه كلها يمكن ان تشترى بثمن بخس حسب الصنف والمقدار . وانما لكى نكون بيوتنا اكبر من بيوت جيراننا وأفخم رياشاً واجمل مظهرا ، ولكى تكون جيادنا وغلماننا أكثر عددا من جيادهم وغلمانهم ولنستطيع ان نكسو أزواجنا وبناتنا ثياباً ليست بالفخمة وان كانت الثمينة الغالية ، ولكى نأدب المآدب الكبرى وان كنا نحن لا نأكل من اطعمتها ما يساوى خمسة قروش ، وبهذا نعين متاجر الدنيا ونصرفها ، وننشر التجارة ونروجها على أهلها ، ونمد فى المدنية الى أبعد تخومها وحدودها

لا تسخطوا اذن على الغرور ، ثم لا تسيئوا استعماله وخير لكم ان تحسنوا القيام عليه ، بل ان الشرف نفسه هو أبدع وجوه الغرور واسمى تواضى الزهو ، نعم ان الادعياء مغرورون ، ولكن لا تنسوا ان الاكفاء والابطال ايضاً مغرورون ، اذن تعالى ايتها الطواويس

الصغيرة الحسناء نكن معاً مغرورين . هلموا نتعاون ونتمى غرورنا . لنكن اذن مغرورين ولكن ليس بسراويلنا وفروع شعرنا المعقوصة ، ولكن بالافعال الكبار والمحامد العظام ، بالحق والجمال والطهر والشرف . تعالو نزهى باننا لا نتحى لاى أمر حقير خسيس ، واننا لا نقول لاحد كلمة قاسية ولا لفظة خشنة . دعونا نزهى باننا نعيش قوما مهذبين في وسط من اللصوص والاخساء والاشرار ، ولنفخر ونعتز باننا نفكر أفكاراً جلوة ، ونعمل اعمالا كبرى ، ونعيش عيشة بارة راغدة ...

****

لنبرأ من عاداتنا الرديئة

باب جديد للبحث فى العادات والاعتقادات الفاسدة التى تلوث سمعة المرأة المصرية وتلطخ حياتها بوصمات الجهل والتأخر وضعف الادراك — وتحط من قدرها فى العالم النسائى المتمدين

المآتم (٢)

(لحضرة الكاتبة فردوس هانم توفيق)

عادات قديمة وبدع محرمة ليست من شعائر الدين . توارثها الخلف عن السلف . ولقد نهى عنها المصلحون كثيراً على اجتنابها . وتلاشتها العلاقات نخفت وطأتها أما الجاهلات فلم يزلن متمسكات بها .

اذا رجعت الروح الى ربها . راضية مرضية . فلم تمض برهة إلا وتقبل عليهن جهنم فاغرة فاها تصحب الزبانية . وهن الندابات . وملطخة وجوههن وأيديهن بمادة زرقاء (النيلة) صارخات باكيات ضاربات على